مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (5)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (5) 2015

الإبستمولوجيا وعلاقتها بعلم النفس

الدكتور إبراهيم رزوق*
نغم محمد محمود**

(تاريخ الإيداع 28 / 6 / 2015. قبل للنشر في 30 / 9 / 2015)

□ ملخّص □

من المعروف لدى معظم فلاسفة العلم والمشتغلين في حقل الإستمولوجيا بان هناك علاقة اساسية وهامة تربط الإستمولوجيا بمختلف العلوم الطبيعية فيها والانسانية ، ومن بينها ((علم النفس)) حيث ان هذه العلوم تتميز بمواضيعها المتنوعة والتي تقدم احد جوانب موضوع بحثها للاستمولوجيا ، وبذلك يتوسع مجال بحث الإستمولوجيا الى مجالات علمية اخرى ، طبيعية واجتماعية ونفسية تحقق من خلالها الإستمولوجيا أهدافها الاساسية في البحث وفي الامتداد الى مختلف العلوم .

وبهذا الخصوص اشار الاستمولوجي الفرنسي ((غاستون باشلار)) بأن الإستنولوجيا يمكن ان تستفيد من منهج التحليل النفسي في علم النفس في بلوغ اهدافها الاساسية من تحليل المعرفة العلمية.

أما عالم النفس الاستمولوجي المعاصر ((جان بياجيه)) فقد ربط الدراسات الاستمولوجيه بما يتسمى ((علم النفس التكويني)).

مؤكدا بان اعتماد التحليل الاستمولوجي غلى المنهج التكويني في علم النفس قد يجعل من الاستمولوجيا غلماً إنسانيا يضاف الى قائمة العلوم الانسانية الاخرى الارتقاء الى مرتبة علمية متطورة وهذا العلم الجديد هو الذي يدعوه جان بياجيه بـ : ((الاستمولوجيا التكوينية)) .

الكلمات المفتاحية : الإبستمولوجيا، علم النفس التكويني، التحليل الإبستمولوجي، المنهج التكويني، الإبستمولوجيا التكوينية.

* **أستاذ– كلية الآداب – جامعة تشرين – اللاذقية– سورية.**
** **طالبة دراسات عليا (ماجستير) –سنة ثانية – جامعة تشرين – اللاذقية– سورية.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (5)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (5) 2015

Epistemology and its Reslation ship with psychology

Dr. Ibrahim Razouk*
Nagham Mohammad Mahmoud**

(Received 28 / 6 / 2015. Accepted 30 / 9 / 2015)

□ ABSTRACT □

It is well known we have that there is a fundamental and important relationship between epistemology and various sciences natural and humanity, including «psychology» as these sciences wool sciences progress of epistemology one aspect of the subject of her research, thus expanding the field of research epistemology L.

other areas, social and psychological check which epistemology goals basic.

In this regard, the French epistemology «Gaston Bachelard» pointed out that epistemology can benefit from psychoanalysis in achieving the objectives of the analysis of scientific knowledge. The psychologist contemporary epistemology «Jean Piaget» has epistemology studies linking the so-called «psychology formative» stressing that the adoption of epistemological analysis on the formative curriculum in psychology may make it humanly epistemology note is added to the list of other humanities.

Keyword: 1 epistemology 2 science formative 3 Analysis epistemological 4 curriculum formative words.

*Associate professor, department of philosophy, faculty of arts and humane science, Tishreen university, Lattakia, Syria.
**postgraduate student, department of philosophy, faculty of arts and humane science, Tishreen university, Lattakia, Syria.

مقدمة:

تقدم العلوم الإنسانية بوصفها علوماً إلى الإبستمولوجيا أحد جوانب موضوع بحثها، باعتبار علاقة الإبستمولوجيا بهذه العلوم هي العلاقة نفسها التي تربط بينها وبين العلوم الطبعية والرياضية. وتقع الإبستمولوجيا من هذه العلوم جميعاً في مستوى أعلى منها، إذ أنها تسيطر عليها وتوجهها بصورة أو بأخرى، لذلك لا يجوز أن تقتصر مهمة الإبستمولوجيا على التحليل المنطقي للغة فقط، فهذا المفهوم للإبستمولوجيا مفهوم ثري، إلا أنه ضيق وجزئي. لذلك بجب توسيع مجال بحث الابستمولوجيا بحيث تستوعب دراسات أخرى كتلك التي تتعلق بالبناء المتدرج للعلم، أو تلك الخاصة بنشوء العقلية العلمية وارتقائها.

وغني عن البيان فإن هذه الدراسات لا تستغني عن العلوم الإنسانية، كما لا يجب فهمها على المستوى نفسه الذي وصلت إليه بعض العلوم التي تتخذها الابستمولوجيا موضوعاً لها، حتى لو لم يكن الفصل بينها وبين هذه العلوم في الواقع الفعلي فصلاً حاداً أو متميزاً.

وبما أن الوسائل قد تختلط بالغابات، فإن موضوع الإبستمولوجيا قد يختلط بالوسائل النفسية والاجتماعية التي تتطلبها الإبستمولوجيا من أجل تحقيق غايتها وأهدافها المعرفية.[1]

. والإبستمولوجيا في الأساس هي تفكير نظري منهجي موضوعه الأساسي «العلم الحديث» وهي فرع هام من فروع الفلسفة المعاصرة، وهذه الميزة لا تمنع الإبستمولوجيا من التعاون في تحليلها للمعرفة العلمية مع العلوم الإنسانية المختلفة وخاصة «علم النفس» ومن الاستفادة عبر ذلك من كافة المعطيات التي تمدها بها هذه العلوم.

والهدف الأساسي من دراستنا لعلاقة الإبستمتولوجيا بالعلوم الإنسانية وخاصة «علم النفس». هو اكتشاف مختلف الصور التي يمكن أن تتفاعل بها الإبستمولوجيا مع هذه العلوم، مبتدئين دراستنا هذه بعلاقة الإبستمولوجيا بـ: «علم النفس، والتحليل النفسي» [2]، من أجل الوقوف على طبيعة هذه العلاقة ومعرفة ما هي أهم الفوائد التي قدمتها الإبستمولوجيا لعلم النفس، وخاصة علم نفس الطفولة، وماذا قدّم علم النفس للإبستمولوجيا من فوائد.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه من البحوث النادرة التي ترصد اهتمام علماء النفس و فلاسفة العلم، وعلى رأسهم «جان بياجيه، وغاستون باشلار» على إقامة نوع من الترابط والتعاون ما بين الإبستمولوجيا وعلم النفس بهدف تحقيق التكامل المعرفي بين العلوم كافة، مؤكدين بأن ربط الدراسات الإبستمولوجيا بما يسمى «علم النفس التكويني» وبأن اعتماد التحليل الإبستمولوجي على المنهج التكويني في علم النفس، قد يجعل من الإبستمولوجيا علماً إنسانياً يُضاف إلى قائمة العلوم الإنسانية الأخرى، إضافة إلى ذلك فإن هذا البحث يحاول أن يوضح بأن الإبستمولوجيا وباعتمادها مع منهج التحليل النفسي قد تستفيد في بلوغ أهدافها من تحليل المعرفة العلمية. وبأن الإبستمولوجيا قد أسهمت في تقديم نظرية معرفية أو ما يسمى «اتجاه معرفي» في علم النفس، يحتل مكانة مرموقة في الكتب السيكولوجية الحديثة، سام في ولادة علم جديد يسمى «علم النفس المعرفي».

---

[1] **عبد الحميد ،حسن .دراسات في الابتملوجيا ،القاهرة ،المطبعة الفنية الحديثة ، 1992 ،ص59.**

[2] **وقيدي ،محمد .ما هي الابستملوجيا ،بيروت ،دار الحداثة ،ط 1 ،1983 ،ص189.**

هدف البحث:

إن الهدف الأساسي من هذا البحث هو توضيح طبيعة العلاقة ما بين الإبستمولوجيا «كاختصاص معرفي جديد» وبين علم النفس، وخاصة علم نفس الطفولة، وما ينتج عن تلك العلاقة من ولادة إبستمولوجيا جديدة، أسسها «جان بياجيه» وأطلق عليها اسم «الإبستمولوجيا التكوينية» المستندة عل «منهج تكويني» يقوم بدراسة سيكولوجية لطبيعة المعرفة العلمية، ويوضح من خلال هذه الدراسة كيفية نمو وتطور المفاهيم العقلية الأساسية، (كمفهوم المكان أو الزمان أو السببية... الخ).

مع توضيح كيف يمكن للإبستمولوجيا الاستفادة من منهج التحليل النفسي في بلوغ أهدافها من تحليل المعرفة العلمية.

منهجية البحث:

في هذا الحث تم الاعتماد عل منهجين أساسيين في «علم النفس».

1. منهج التحليل النفسي: الذي تستخدمه الإبستمولوجيا في تحليل الكثير من المشكلات العلمية والعقبات المعرفية للوصول إلى نتائج معرفية هامة.

2 . المنهج التكويني: ها المنهج يقوم بدراسة سيكولوجية للمعرفة البشرية ولتكون ونمو كافة المفاهيم العلمية الأخرى «كفهوم المكان، والزمان، والعدد ، والسببية».

وهذا المنهج مكون من قسمين:

1 . القسم الأول: منطقي: يقوم على دراسة صورية للمعرفة البشرية.

2 . القسم الثاني: نقدي تاريخي: يقوم بدراسة المعرفة البشرية وصلتها بالواقع، من خلال العلاقة الجدلية بين الذات العارفة وموضوع المعرفة.

. ووفقاً لهذا المنهج استطاع علام النفس «جان بياجيه» أن يرصد وبشكل دقيق مراحل نمو وتطور المعرفة البشرية وانتقالها من حالة معرفية دنيا إلى حالة معرفية عليا.

الإبستمولوجيا والتحليل النفسي:

لا ينحصر الهدف من هذا البحث في تحديد علاقة التحليل النفيس بالإبستمولوجيا بصورة عامة، بل الهفد الأساسي منه يتسجد في البحث عن الاقتراح الذي تقدم به الإبستمولوجيا الفرنسي المعاصر «غاستون باشلار» حول طبيعة العلاقة بني الإبستمولوجيا والتحليل النفسي، يحث رأى باشلار بأن الإبستمولوجيا يمكن أن تستفيد من التحليل النفسي في بلوغ أهدافها الأساسية من تحليل المعرفة العلمية. لهذا السبب يؤكد باشلار في كتاباته المتعددة بأن من المهام الأساسية للإبستمولوجيا هي القيام بتحليل نفسي للمعرفة الموضوعية وقد حاول باشلار جاهداً توضيح الصورة الأساسية التي تربط الإبستمولوجيا بالتحليل النفسين من خلال البحث عن المفاهيم الأساسية التي يستفيد منها التحليل الإبستمولوجي من التحليل النفسي والتي تساعده في تحليله للمعرفة العلمية.

. فالتحليل النفسي كما هو معروف عند «فرويد» ينطلق من فرضية عامة هي «اللاشعور»، والمحلل النفسي عندما يحاول تقصي وفهم الحياة النفسية لإنسان ما، لا يقف عند الجانب الظاهر منها، أي الجانب الشعوري، بل يجب

عليه الاهتمام بـ «الجانب اللاشعوري» المكبوت من الحياة النفسية الذي كبته لعدم إمكان تحققه بالواقع، ولتعارض رغباته وميوله مع متطلبات الحياة اليومية واعتباراتها الأخلاقية والاجتماعية.[3]

. وفرضية اللاشعور في التحليل النفسي والتي تتضمن مجموعة من الرغبات المكبوتة والتي لم تتحقق بالواقع، لا تتوقف عن سعيها إلى الظهور أي تبقى دينامية باستمرار وتتحايل على مظاهر الشعور وتمتزج بها وتظهر من خلالها. من هنا كانت جهود المحلل النفسي تتركز على مظاهر الشعور ذاتها، ملاحظة دقيقة كي يتمكن من كشف المظاهر اللاشعورية التي تُخبئ ورائها. لهذا السبب يؤكد فرويد على أن الحياة النفسية اللاشعورية لها تأثير كبير على حياتنا النفسية الشعورية إلى الحد الذي لا يمكننا فيه فهم الأخيرة بدون أخذ الأولى بالحسبان.

. وهذا التمهيد لفرضية اللاشعور في التحليل النفسي الذي تم عرضه يُعد خطوة تمهيدية لتقديم تصور عام عن هذه الفرضية التي انطلق منها الإبستمولوجي الفرنسي «غاستون باشلار» في تحليله للمعرفة العلمية الموضوعية ، والذي يؤكد على أنه مهمة الإبستمولوجيا الأساسية هي «التحليل النفسي للمعرفة العلمية»، وما يأخذه «باشلار» في منهجة التحليل النفسي من «فرويد» هو «فرضية اللاشعور» حيث قام باشلار بتبني هذه الفرضية ونقل مجال تطبيقها من الحياة النفسية للشخصية الإنسانية إلى مجال العمل المعرفي والعلمي.[4]

وإذا كان التحليل النفسي في علم النفس يهدف إلى الكشف عن المكبوتات النفسية فإن التحليل النفسي للمعرفة العلمية يهدف إلى الكشف عن «المكبوتات العقلية» لكي يبحث عن أثرها في العلم العلمي، هذه المكبوتات العقلية هي ما يسميه «باشلار» بـ: «العوائق الإبستمولوجية» التي تأتي من داخل العمل العلمي وليس من خارجه. وينطلق باشلار من الاعتقاد بأن المعرفة العلمية عملية تجري ضمن شروط نفسية، وأن التفكير في هذه الشروط تساعدا على وضع مشكلة المعرفة العلمية في صيغة «عوائق» وعقبات[5].

ومن هنا نرى بأن البحث عن العوائق الإبستمولوجية للمعرفة العلمية يمكن أن يقع على صعيد «الذات العارفة» أي يمكن أن يقع على الصعيد النفسي، ومن هذه الناحية، فإن التحليل النفسي للمعرفة الموضعية يمكن أن يفيد في كشف هذه العوائق. ولذلك فإننا نُعد المساهمة التي يقدمها «غستون باشلار» بهذا الصدد في كتابه «تكوين العقل العلمي» مسامة هامة في سبيل الكشف عن الصور المتنوعة للعوائق الإبستمولوجية «كالعقبة الاختبارية الأولى . التجربة الأولى» وعقبة التصميم، والعقبة الإحيائية، وغيرها من العقبات الأخرى.

وباعتبار أن هذه العقبات والعوائق لا تقع على هذا الصعيد النفسي فحسب، فإننا نعتبر بأن البحث عنها وعن صورها المتعددة ينبغي أن يتم ضمن شروط المعرفة العلمية.

ورغم إقرارنا بأهمية التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية، لا ينبغي أن يدفعنا ذلك لإهمال دور العوامل الاجتماعية والتاريخية في التحليل الإبستمولوجي للمعرفة العلمية وتطورها[6].

---

[3] المرجع نفسه ،192 .

[4] المرجع نفسه ،ص190.

[5] باشلار ،غاستون .تكوين العقل العلمي ،ت:خليل أحمد خليل ،بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط 2 ،1982 ،ص13.

[6] المرجع السابق ،ص195.

الإبستمولوجيا وعلم النفس التكويني:

حاول عالم النفس والإبستمولوجي المعصر «جان بياجيه» جاهزاً أن يقيم علاقة أساسية ومميزة بني الإبستمولوجيا وعلم النفس بصفة عامة، عندما قام بربط الدراسات الإبستمولوجية بنوع آخر من علم النفس . هو «علم النفس التكويني». حيث أن بياجيه لم يكتف بالقول بأن التحليل الإبستمولوجي للمعرفة العلمية يمكن أن يستفيد من علم النفس التكويني، بل أكد بأن اعتماد التحليل الإبستمولوجي على المنهج التكويني الذي يتبع هذا الفرع من فروع علم النفس من شأنه أن يجعل من الإبستمولوجيا علماً إنسانياً يضاف إلى قائمة العلوم الإنسانية الأخرى، وذلك وفقاً للشروط ذاتها التي تم بفضلها للعلوم الإنسانية الأخرى الارتقاء إلى مرتبة علمية متطورة، وهذا العلم الجديد هو الذي يدعوه جان بياجيه بـ: «الإبستمولوجيا التكوينية».

فما هو المقصود بالإبستمولوجيا التكوينية، وما هو موضوعها الأساسي ومنهجها؟

الإبستمولوجيا التكوينية . موضوعها ومنهجها:

لقد نظر جان بياجيه إلى الإبستمولوجيا بشكل عام على أنها الميدان المعرفي الذي يسعى بخطى حثيثة إلى أن يتميز بوصفه علماً إنسانياً جديداً من خلال التحديد الدقيق لموضوعه الذي يتميز عن الفلسفة كلياً . موضوع خاص به وهو «المعرفة» . من حيث هي سيرورة وتطور ونمو . إضافة إلى منهج نوعي يرتبط بهذا الموضوع، فإذا استطاعت الإبستمولوجيا أن تحدد موضوعها الأساسي وهو «المعرفة . كسيرورة وتطور ونمو» وتحدد منهجها الملائم لدراسة موضوعها والذي يتضمن تطبيقات تجريبية في «علم النفس التكويني» فسيكون منهج الإبستمولوجيا «منهج تكويني» وبالتالي وبحسب رأي جان بياجيه . فإن الإبستمولوجيا ستكون «إبستمولوجيا تكوينية» . هذه الإبستمولوجيا التي تستفيد من «من علم النفس التكويني» . من حيث النتائج التي يتوصل إليها من خلال دراسته لتكوّن وتطور الكثير من المفاهيم العلمية.

إذن فالمنهج التكويني: هو منهج الإبستمولوجيا التكوينية وهو المنهج الذي أسسه جان بياجيه . وكرس حياته العلمية المديدة من أجل دراسة الكيفية التي تتكون فيها المفاهيم العلمية . أي الكيفية التي يتوصل فيها الطفل الإنساني عبر طفولته الطويلة إبى بناء وتكوين المفاهيم العلمية «كمفهوم المكان، والزمانن والعدد، والسببية» ... الخ، ولهذا السبب انطلق جان بياجيه من السؤال التالي: كيف تتكون المعرفة الإنسانية؟ كيف تكونت هذه المعرفة عبر التاريخ الإنساني، وكيف تتكون عند الفرد؟ وما هي المراحل المتتالية لنمو العملية المعرفية وتطورها[7].

. إن تحديد الكيفية التي تنمو فيها المعارف البشرية تقتضي بالضرورة منهجاً يدرس كل معرفة من المعارف من زاوية تطورها في الزمان، والمنهج التكويني يبحث في دراسة نمو المعرفة وفقاً لبنائها السيكولوجي في الواقع، أي دراسة المراحل المتتالية لنمو المعرفة البشرية[8].

. فعلم النفس التكويني ومن خلال منهج التكويني الذي يقوم بدراسة تكوينية للمفاهيم العلمية المتنوعة «كمفهوم المكان أو الزمان، والسببية، والسرعة» والتي سبق ذكرها . يتوصل إلى تحديد . الطريقة . أو الكيفية التي تنمو وتتطور بموجبها هذه المفاهيم منذ مراحل الطفولة الأولى إلى أن تصبح مفاهيم مجردة، وبالطبع فإن دراسة علم النفس التكويني تستطيع أن تساعد الإبستمولوجيا في دراستها لتكوين المفاهيم العلمية من جوانب متعددة، وذلك بالوقوف على تطور .

---

[7] الجابري ،محمد عابد .مدخل إلى فلسفة العلوم ،بيروت ،دار الطليعة .ج 1 ،1994 ،ص116.

[8] الجابري ،محمد عابد .العقلانية الجديدة ونطور الفكر الرياضي ،دار الطليعة ،بيروت ،ط 2 ،1991 ،160.

مفهوم ما . فقد المراحل الأولى للطفولة إلى المراحل التي يتم فيها منشأة ما يسمى «الذكاء النظري» فيعطي للعالم صورة تعقد المراحل التي يمر بها منشأة لمفهوم على «الصعيد النفسي» فيمكن ذلك من إدراك العقبات التي يتجاوزها هذا المفهوم وفق تقدير موضوعي للمراحل التي يكون على أي مفهوم علمي أن يجتازها، ومن تقدير موضوعي للمراحل ولفترات زمنية قد تطول قبل أن يصل مفهوم ما إلى المرحلة التي يصرفها العلم في الوقت الحاضر[9].

آثر الإبستمولوجيا على تطور علم النفس:

كما ذكرنا سابقاً بأن جان بياجيه . نظر إلى الإبستمولوجيا على أنها ميدان معرفي هام يسعى بشكل حثيث إلى أن يتميز كعلم إنساني جديد من خلال تحديد دقيق لموضوعة يتميز عن الفلسفة كلياً، موضوعاً خاص به هو «المعرفة» من حيث هي «سيرورة وتطور ونمو» .

إضافة إلى منهج «نوعي» يرتبط بهذا الموضوع، باعتبار أن المنهج يتحدد تبعاً لموضوع العلم وهدفه[10].

وإذا كانت مهمة الإبستمولوجيا في نظرية بياجيه . هي البحث عن الأشكال الأساسية للمعرفة العلمية وتتبع تطورها من مستنو معرفي أدنى إلى مستوى معرفي أعلى، تكون فيه المعارف قد أصبحت أكثر علمية وموضوعية، ولبلوغ هذا الهدف يتوجب على الإبستتمولوجيا أن تعتمد على المنهج الملائم لهذه المعرفة . والمنهج الملائم لدراسة المعرفة العلمية ولتكوينها برأي بياجيه . هو «المنهج التكويني»[11].

. وإذا كانت الجهود التي بذلها كل من «غاستون باشلار وجان بياجيه» من ربط الإبستمتولوجيا بـ: «علم النفس» قد أثمرت في تطور الإبستمولوجيا وانتقالها من إبستمولوجيا عامة إلى «إبستمولوجيا تكوينية» . بعد اعتمادها على «المنهج التكويني» ومنهج التحليل النفسي في علم النفس فكسبت بذلك أرضاً جديدة بحيث أصبح علم النفس أحد جوانب موضوع بحثها، محققة بذلك شروط تحققها كعلم جديد «الإبستمولوجيا التكوينية» بموضوع محدد «المعرفة . كسيرورة وتطور» ومنهج محدد «المنهج التكويني».

. فماذا قدمت الإبستمولوجيا لـ: علم النفس مقابل ذلك.

لقد قدمت الإبستمولوجيا إلى علم النفس . نظرية معرفية جديدة، أو ما يمكن تسميته «اتجاه معرفي جديد في علم النفس» والذي جاء كرد فعل على الاتجاه السلوكي في علم النفس، حيث اعترض أصحاب الاتجاه المعرفي على السلوكين بقولهم: إن الإنسان ليس مجرد مستجيب للمثيرات البيئية التي يتلقاها، بل إن الإنسان يعمل بنشاط، على تمرير المعلومات التي يتلقاها، وعلى تحليلها وتأويلها إلى أشكال معرفية جديدة.

فكل مثير نتلقاه يتعرض إلى جملة عمليات تحويلية تفاعل نتيجة تفاعل هذا المثير الجديد مع خبراتنا الماضية ومع مخزون الذاكرة لدينا قبل صدور الاستجابة المناسبة له، وإلا كيف يمكن أن نفسر الاستجاب المختلفة للمثير نفسه، من قبل فردين مختلفين، أو من قبل الفرد نفسه في مناسبتين مختلفتين.

. لقد أصبح الاتجاه المعرفي الجديد الذي قدمته الإبستمولوجيا إلى علم النفس يحتل مكانة مرموقة في الكتب السيكولوجية الحديثة، وتطور عن هذا الشكل المعرفي الجديد ما يعرف باسم «علم النفس المعرفي» بحيث أصبح الاتجاه المعرفي في علم النفس أحد أهم خمسة اتجاهات معصرة في علم النفس، كما أن النمو المعرفي هو أحد أهم

---

[9] وقيدي ،محمد .فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار ،بيروت ،دار الطليعة ، 1980 ،ص53.

[10] عبد العالي ،بن عبد السلام .درس في الابستملوجيا ،المغرب ،دار توبقال ، 2001 ،ص82.

[11] بياجيه ،جان .الابستملوجيا التكوينة ،ت: السيد نفادة ،دار النوير ،دمشق ، 2004 ،ص18.

عناصر السلوك المدخلي للمتعلم، والذي يجب أن يحيط به المعلم إحاطة تامة لما له من علاقة مباشرة بالممارسات التعليمية وخبرات التعلم، التي يجب أن يتعرض الطلاب لها من جهة ولما له من علاقة مباشرة بمفهوم الاستعداد والتطوري للعلم من جهة ثانية.

وها الاتجاه المعرفي نشأ كرد فعل مباشر على ما يُسمى بضيق أفق سيكولوجية المثير والاستجابة، فأصحاب الاتجاه المعرفي يعتقدون إن سيكولوجيا المثير والاستجابة لا تصلح لدراسة السلوك المُعقد، وإن هذا الاتجا يتجال القدرات العقلية للإنسان، وكيف أن الإنسان يمكن أن يفكر ويخطط ويقرر بناء على ما يتذكره كما إنه يمكن أن يختار بإنتقائية بني إحدى المثيرات المختلفة التي يتعرض لها.

ويرى بياجيه أن الدماغهو آلة التفكير وأن معرفة ما يدور في الذهن وتمثله يضيف بعداً كبيراً للنمو المعرفي عند الإنسان وفهم آلياته الذهنية وإن علم النفس المعرفي وعلم فهم تفكير الإنسان وأدواته وأسباب اختلاف معالجاته الذهنية في المواقف البسيطة والمتطورة[12].

2: إن الأمر الإيجابي الذي تقدمه «الإبستمولوجيا التكوينية» لكافة العلوم، بما فيها علم النفس، وإلى الفكر البشري عموماً هو نظرتها إلى «المعرفة» كسيرورة وتطور ونمو، وبهذا الشكل يتجاوز الإبستمولوجيا التكوينية الإشكالية التقليدية للمعرفة بصورها كافة التي تبر عنها النظريات المعرفية المختلفة. من خلال نظريتها للمعرفة كحقائق ثابتة وأبدين...

فالمعرفة العلمية . كما يعكسها لنا تاريخها تظهر بالفعل كسيرورة، إذ ليس هناك مفهوم علمي مهما كان بسيطاً لم يمر بمراحل من النمو والتطور قبل أن يصبح مفهوماً مجرداً إل الحد الذي يمكن الاعتماد عليه بوصفه معرفة علمية نظرية وحينها تكشف دراسات علم النفس التكويني الصور المختلفة التي يتم بموجبها تكتون المفاهيم العقلية عند الطفل، وتكشف أيضاً العقبلات التي يجب على كل مفهوم أن يتجاوزها قبل أن يصل إلى المراحل التي يصبح فيها مفهوماً علمياً.

هذه الدراسات وبدون شك تفيد التحليل الإبستمولوجي من خلال دفعها له للنظر بجدية إلى المفاهيم العلمية من حيث هي نتيجة تكون ونمو وتطور موليس من حيث هي واقع مُعطى ثابت.

وبتعبير آخر أن الإبستمولوجيا تنظر إلى المعرفة العلمية من حيث أن لها تاريخ وهي تقوم بتخليص البحوث العلمية من عوائق البدايات المطلقة. فتتجاوز بذلك أحد العوائق التي جعلت النظريات التقليدية في المعرفة تهتم بالمعرفة العلمية بوصفها موضوعاً لها، دون أن تعكسه في حقيقتها.

. لذلك فإن المبدأ الأساسي الذي تنطلق منه الإبستمولوجيا التكوينية هو أنه لا يمكن الكشف عن واقع حي بمجرد دراسة مراحله الأولية وحدها ولا بدراسة مراحله الأخيرة وحدها، بل بدراسة حركته تحولاته نفسها[13].

3 . ساهمت الإبستمولوجيا التكوينية في دفع النظريات المعرفية التقليدية إلى الاهتمام بالمعرفة العلمية بوصفها موضوعاً لها، دون أن تعكسه في حقيقتها. وغن ما يعوذ النظريات التقليدية في المعرفة هو أن تدرك بأن المعرفة العلمية ي حد ذاتها هي نتيجة لجدل وتطوير، وهذا ما تحاول الإبستمولوجيا التكوينية أن تكون وتشكل وعياً[14].

---

[12] **إسماعيل ،محمد .أضواء على حياة جان بياجية ،منشورات العلوم الاجتماعية ،الكويت ، 2006 ،ص22 .**

[13] **Piacet, jan .introduction, al epistemolociei, T.t,paris, 1967, p.18.**

[14] **وقيدي ،محمد .ما هي الابستملوجيا ،ص 204.**

نتائج البحث:

1 . في إطار ما يسمى «منظومة العلوم الكلية» والتي تتألف من منظومتين أساسيتين:

1. منظومة العلوم الطبيعية، ومنظومة العلوم الإنسانية، هناك نوع من التداخل والتكامل بين مختلف علوم هذه المنظومة . بما يخدم المعرفة البشرية بشكل كامل.

2 . الإبستمولوجيا كعلم حديث ظهر في بداية القرن العشرين وتحديداً في عام 1906.

. يسعى جاهداً لإثبات ذاته كعلم داخل منظومة العلوم الإنسانية من خلال تحقيق شروط تحققه الأساسية من موضوع محدد، ومنهج لدراسة هذا الموضوع.

3. لقد تطور في الوقت الحالي مفهوم الإبستمولوجيا ومجال اهتماماتها . بحيث ابتعدت عن الفلسفة وقضاياها الميتافيزيقية العامة واقتربت أكثر من قضايا علمية معاصرة ولهذا فإن أهم ما يميز الإبستمولوجيا المعاصرة هو الانتقال التدريجي لمشكلاتها من أيدي الفلاسفة إلى أيدي العلماء المختصين بمن فيهم «علماء النفس»[15].

4 . نظراً لأهمية الإبستمولوجيا المعاصرة ولدورها الأساسي في تطور المعرفة البشرية إنكب الكثير من المفكرين والعلماء المختصين في فروع العلم المختلفة «رياضيات، فيزياء، بيولوجيا، علم نفس» إلى السعي للربط بينها وبين علومهم وتخصصاتهم.. و على سبيل المثال فإن عالم الرياضيات الفرنسي «غاستون باشلار» . حاول أن يربط بين التحليل الإبستمولوجي والتحليل النفسي، من أجل الاستفادة من التحليل النفسي في تحليل المعرفة العلمية . مؤكداً بأن الإبستمولوجيا يمكن أن تستفيد من التحليل النفسي في بلوغ أهدافها الأساسية من تحليل المعرفة العلمية.

وكذلك فإن عالم النفس السويسري «جان بياجيه» أقام علاقة مميزة بين الإبستمولوجيا وعلم النفس ساهمت في نشوء فرع مصرفي جديد يمسى «الإبستمولوجيا التكوينية»[16].

5 . إن ولادة فرع مصرفي جديد يسمى «الإبستمولجيا التكوينية»، والذي أسسه عالم النفس السويسري جان بياجيه . يضاف إلى قائمة العلوم الإنسانية التي تتميز بموضوعها المحدد ومنهجها المحدد.

6. الإبستمولوجيا التكوينية تهتم بدراسة «المعرفة» دراسة سيكولوجية علمية بوصفها عملية انتقال من حالة معرفية دنيا إلى حالة معرفية عليا.

7 . يرى جان بياجيه بأن الخطأ الذي ارتكبه الفلاسفة في موضوع «المعرفة» والذي جعل آرائهم فيها عقيمة، غير منتجة، وغير موالية للتطور، هو أنهم كانوا ينتظرون إلى المعرفة كواقعة نهائية كاملة وليس كعملية نمو وتطوير[17].

8 . يؤكد جان بياجيه . على أن جميع القضايا العلمية المبدئية قابلة للمراجعة والتدقيق، وليس هناك قضايا فارغة من المعنى إلى الأبد وقد يأتي يوم يكشف فيه العلم عن معاني هذه القضايا..

9. يؤكد جان بياجيه على أن «الإبستمولوجيا» هي علماً كبقية العلوم الأخرى، لها موضوع محدد ومنهج وهدف وموضوع الإبستمولوجيا هو «المعرفة العلمية» من حيث هي سيرورة أما منهجها فهو «المنهج التكويني ت الذي ينظر إلى المعرفة بوصفها عملية نمو وتطوير . وهي عملية متصلة . أما الهدف منها فهو البحث عن حقائق الأشياء».

---

[15] **بلانشيه ،روبير .الابستمولوجيا، ت: حسن عبد الحميد ،المطبعة الفنية الحديثة ،القاهرة ، 1992،ص51-52.**

[16] **Piaciet. J *Les methods de Epistemoitogici A Logigue*, Paris, 1967, P62**

[17] **Piaget, J. *Psychologie et epistemdogic*, paris, couter, 1970, P.34**

10. ساهمت الإبستمولوجيا من خلال صلتها بـ «علم النفس» إلى تكوين «اتجاه معرفي» في علم النفس كرد فعل على «الاتجاه السلوكي» الذي لا يرى في الإنسان سوى مجرد مستجيب للمبشرات البيئية التي يتلقاها.

11. أصبح الاتجاه المعرفي في علم النفس يحتل مكانة مرموقة في الكتب السيكولوجية الحديثة وقد أصبح أحد أهم خمسة اتجاهات معاصرة في علم النفس، إضافة لمساهمة في ظهور فرع معرفي جديد إلى علم النفس والمسمى «علم النفس المعرفي».

12. إن الأمر الإيجابي الذي قدمته الإبستمولوجيا التكوينية لكافة العلوم بما فيها علم النفس، والفكر البشري عامة، هو نظرتها إلى «المعرفة» كسيرورة وتطور ونمو[18].

13 . ساهمت الإبستمولوجيا التكوينية في دفع النظريات المعرفية التقليدية إلى الاهتمام بالمعرفة العلمية بوصفها موضوعاً لها دون أن تعكسها في حقيقتها.

الخاتمة

تسعى الكثير من النظريات المعرفية والعلمية وبعض العلماء وفلاسفة العلم (الابستمولوجيين) للعثور على أساس عام تكاملي مشترك يربط بين مختلف العلوم الطبيعية منها والانسانية بهدف تحقيق تكامل معرفي وعلمي بين هذه العلوم، والابتعاد قدر الإمكان عن المبدأ التقليدي المتبع في تحديد هوية هذه العلوم بين مايسمى علوم طبيعية وأخرى انسانية – فما يميز العلوم الحديثة هو سعيها إلى التكامل وليس إلى الانفصال – فكل علم من هذه العلوم يحتل مركزاً مميزاً في منظومة العلوم الكلية ويسعى إلى تحقيق تكامل مع بقية علوم المنظومة.

ومن أهم العلماء وفلاسفة العلم الذين سعوا إلى تحقيق مبدأ التكامل العلمي بين العلوم، العالم الرياضي الفرنسي ((غاستون باشلار)) وعالم النفس السويسري – جان بياجيه – حيث ربطا مابين الابستمولوجيا وعلم النفس يهدف تحقيق تكامل معرفي وعلمي بين العلمين .

حيث أشار باشلار على أن اعتماد التحليل الابستمولوجي على منهج التحليل النفسي يقدم افادة كبير للابستمولوجيا في تحقيق أهدافها المرجوة من خلال قدرتها على التحليل النفسي للمعرفة العلمية .

أما جان بياجيه– فقد أكد على أن اعتماد الابستمولوجيا على مايسمى علم النفس التكويني – وخاصة المنهج التكويني في علم النفس يساهم في تحديد هوية الابستمولوجيا كعلم جديد أسماه ((الابستمولوجيا التكوينية)) وبأن علم النفس أصبح ميداناً جديداً للابستمولوجيا – وبالمقابل فإن الابستمولوجيا قدمت لعلم النفس نظرية معرفية جديدة أو مايسمى اتجاه معرفي جديد كرد فعل على النظية السلوكية التي تعتمد على المثيرات البيئية ((مثير+استجابة)) وبهذا التكامل بين العلمين قدم كل علم منهما للآخر فائدة معرفية أسهمت في تطور العلمين وفي تقدمهما – من هنا تأتي مسألة التكامل بين العلوم وأهميتها في تطور المعرفة البشرية وتكاملها –.

[18] **Blanche. R. L.** ***Epistellologe Paric*****, P.U. F. edition, 1977, P.63.**

مصادر ومراجع البحث:

1 . عبد ،الحميد ،حسن . *دراسات في الإبستمولوجيا* ، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة. 1992.

2. وقيدي ،محمد . *ما هي الإبستمولوجيا* ، بيروت، دار الحداثة، 1983، ط1.

3. وقيدي ،محمد . المرجع السابق نفسه .

4 . وقيدي ،محمد . المرجع السابق نفسه.

5. باشلار ،غاستون . *تكوين العقل العلمي ، ترجمة: خليل أحمد خليل* ، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1982.

6 . وقيدي ،محمد . *ما هي الإبستمولوجيا* ، مرجع سبق ذكره.

7 . الجابري ،محمد عابد . *مدخل إلى فلسفة العلوم*، ج1، دار الطليعة، بيروت، 1994.

8. الجابري ،محمد عابد . *العقلانية الجديدة وتطور الفكر الرياضي*، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1994.

9. وقيدي ،محمد . *فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار*، بيروت، دار الطليعة، 1980.

10. بن عبد العالي ،عبد السلام . *درس في الإبستمولوجيا* ، المغرب، درا توبقال، 2001.

11 . بياجيه ،جان . *الإبستمولوجيا التكوينية*، ترجمة السيد تفادي، دار التنوير، دشق، 2004.

12 . إسماعيل ،محمد . *أضواء على حياة جان بياجيه*، الكويت، منشورات العلوم الاجتماعية، 2006.

13- Piacet, J. *Introduction. AL Epistemolociei*, T. t, Paris, 1973.

14 . وقيدي ،محمد . *ما هي الإبستمولوجيا* ، دار الحداثة، بيروت، 1983.

15 بلانشيه ،روبير. الإبستمولوجيا، *ترجمة حسن عبد الحميد، القاهرة*، المطبعة الفنية الحديثة، 1992.

16 – Piaciet. J *Les methods de Epistemoitogici A Logigue*, Paris, 1967.

17 – Piaget, J. *Psychologie et epistemdogic*, paris, couter, 1970.

18 – Blanche. R. L. *Epistellologe Paric*, P.U. F. edition, 1977.